

سيرةُ الشَّيْخِ العَلَّامةِ

أَبِي النَّبِيْعِ سَلِيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُنْزَلِيِّ

(ت 471 هـ / 1079 م)

ضبط النص

3468

34



سيرةُ الشيخ العلامة

أبي الشيخ سليمان بن خلف المزني

رحمته

(ت 471/هـ 1079م)

نصبت للنص

الناصر بن حمو أويابه

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

ترجمة المؤلف:

(أبو الربيع) سليمان بن يخلف المزاني (ت: 471 هـ / 1079 م) هو الأصولي البارع والفقهاء النبيه، تعددت نسبته: الوسلاقي، المزاني، النفطي، القابسي؛ لكثرة أسفاره بين مواطن الإباضية في ربوع المغرب، وكثرة ترحاله طلباً للعلم ونشراً له.

أخذ العلم من معدنه الصافي بأربع: عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، قرأ على يديه الأصول، كما أخذ عن الشيخ أبي محمد ويسلان بن أبي صالح اليراسني وعن غيره الفروع بجمرة، وكان وقتئذ رقيقاً درب دراسته الشيخ ماكسن بن الخير وتصاحباً على التعلم.

هو غاية في العلوم، أفنى شبابه في القراءة، وبقي عمره في الإقراء، فصار من أكابر العزابة ومن جازت عليهم سلسلة نسب الدين.

أخذ عنه العلم خلق كثير لا تحاذه حلقة متنقلة بين مواطن الإباضية، في السهول والخيال والأودية والجزر، ويخرج معه من تلامذته نجباء أمثال أولاد الشيخ أبي زكرياء فصيل وأبي بكر بن يحيى في المسجد الكبير بجمرة، ثم



جميع الحقوق محفوظة

منشورات مكتبة المسجد الحبيب

بقصر غرداية

الطبعة الأولى

1438 هـ - 2017 م

للتواصل

029 23 10 89

mosquelib@gmail.com

يخرج بحلقته إلى جبل نفوسة، ثم تمولست، ثم قلعة بني علي، ثم أسوف، ثم وغلانة، ثم تماسين، ثم وارجلان في عام الزيارة 449هـ/1057م، ثم البكرات، في بداية 450هـ/1058م، ثم زنقة، ثم الجبل حيث منزله بـ«تمولست» سنة 462هـ/1069م، ثم بـ«تونين»، وفي كل بلدة يبقى وتلاميذته مدة للتعليم والتعلم يجتمع عليهم أهلها وكثير من طلاب العلم.

تلاميذه: الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسي، والشيخ إبراهيم بن إبراهيم، والشيخ تيغورين بن عيسى المشوطي، والشيخ أبو محمد ماكسن بن الخير، والشيخ أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي، وغيرهم كثير...

تصانيفه:

- كتاب التَّحْفِ المخزونة.
 - كتاب في طلب العلم وآداب التعلم، وهو هذا الكتاب
- كان شديدا على من يقرأ كتب المخالفين، ممن لم ترسخ قدمه في العلم، مخافة الفتنة والاختلاف.

هو الذي رُتِبَ الحلقة على يد شيخه أبي محمد ويسلان بن أبي صالح بجزيرة، اختلف في موضع وفاته مثلما اختلف في موضع ميلاده ولعل ذلك بسبب تنقلاته العلمية الكثيرة.

مجموع إلام الإيضاح (قسم الغرب) لجمعية التراث (1/313)

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

مقدمة

الحمد لله المؤيد لأوليائه المعين لهم، الذي لا يُنال شيء من الخير إلا بمَنِّه وفضله وإحسانه وتأيدِهِ، نسأله العون والتوفيق على عمل الخير والإحسان، والعصمة من الخطأ والزلل في القول والعمل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبه زيادة العون والتوفيق، والهادي إلى سبيل الرشاد.

ما جاء في طلب العلم مبرور عن الشيخ وغيره من الصالحين
فضل العلم

﴿فَتَسَلُُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقر: 143].

وقال النبي ﷺ: (اطلبوا العلم ولو بالصين).

وقال أيضاً: (طالب العلم يدعو له كل رطب وياس حتى الحيتان في البحر).

وقال أيضاً: (كن عالماً أو متعلماً ولا تكن ثالثاً فتهلك).

وقال أيضاً: (الناس رجلان: عالم ومتعلم وثالث لا خير فيه).

وقال أيضاً: (من سلك طريقاً في طلب العلم إنه يوزن له في ميزانه سبعة أميال عن يمينه وعن يساره وأمامه وخلفه وما تحته وما فوقه إلى سبع أراضين وسبع سماوات يوزن له هذا كله حسنات).

وذكر عنه أيضاً أنه قال: (أعمال البر كلها في الجهاد في سبيل الله كجربة ماء من البحر).

وقال: (من سلك طريقاً في طلب العلم سهل الله له طريقاً إلى الجنة).

وقال: (من تعلم مسألة من الحلال والحرام كعبادة سنة قائم ليلها وصائم نهارها).

وقال أيضا: من أفتى مسألة كمن تصدق بكدية من الذهب والفضة.
وقيل عن الشيخ أبي زكرياء: لو كان يزداد على ما قاله المسلمون لقلت:
كمن تصدق بكديتين لحاجة الناس في هذا الزمان إلى العلم، وبالعلم عبد
الله وبالجهد عبدة الأوثان، واستحل الحرام، وركبت المعاصي.
وقال أيضا: العلم يحيي القلوب كما تحيي الأرض بوابل المطر. وقال أيضا:
العالم العامل ليس بين درجته ودرجة الأنبياء إلا النبوة.

آداب طالب العلم

فينبغي لطالب العلم أن يجعل طلبه لله خالصا، ولما عند الله طالبا، وفيه
مجتهدا صابرا، متواضعا حريصا، خفيف المونة على معلمه، راغبا في ساعة
نشاطه، صابرا لصولته وضيق صدره.

وقال أيضا: تعلموا العلم لتعملوا ولا تتعلموا لتباهوا به وتتزينوا به.

وقال أيضا: احفظوا العلم حفظ رعاية لا حفظ رواية.

وقال أيضا: العلم كثير والعلم المعمول به قليل.

وقال أيضا: العلم أكثر من أن يحصى ولكن خذوا من كل شيء أحسنه.

وقيل: تعلموا العلم قبل أن يرفع، وارتقاعه ذهاب أهله.

وقال أيضا: لا يصلح العلم لطالبه إلا بعد ثلاثة: العالم الناقد البصير
يفنون العلم والكتب الصحاح، وسعة المونة، وذهن حاضر.

آداب المجلس

وقال أيضا: احفظوا بحالكم وموطنكم ولا تخلطوها بلهو ولا لعب ولا
ضحك، لئلا تمح القلوب.

وقال أيضا: حصنوا علمكم بالسكينة والوقار وحسن الأدب. وقال أيضا:
العلم يحتاج إلى السياسة ما لا تحتاج السياسة إلى العلم.

وقال أيضا: أول العلم الصمت وحسن الاستماع إليه، والحفظ والرعاية.

وقال أيضا: من يحضر مجالس الذكر حرمت عليه مجالس الدنيا كلها، فلا
ينبغي أن يكون كالذباب بين العطارين وبين الجزارين، مرة يقع على الريح
الطيبة، ومرة يقع على الفرث والدم، وإن هذا لمن يحضر جماعة الخير ثم
يحضر مجالس الشر، مرة في الخير ومرة في الشر.

آداب المعلم

وعلى المعلم أيضا أن يكون في إعلامه لمن يعلمه طالبا لما عند الله من
الثواب وحسن جزائه، ويكون صابرا لمن يعلمه فوق صير من يتعلم منه،

ويكون حريصا على فهم من يطلب منه بود ورأفة ولطف وحسن سياسة، وحسن آداب، لله راغبا محتسبا طالبا لما عنده.

وقال أيضا: ينبغي للعالم أن تكون عنده خزانة لا يدخلها إلا هو.

وقال أيضا: من جهالة العالم أن يفتي لكل من يسأله.

وقال أيضا: العالم في علمه كالطبيب في أدويته لا يضع دواءه إلا حيث يصلح، كل علة مع دوائها.

وقال أيضا: على العالم أن يعبد الله بكنمان علمه ما لم يحتاج إليه، فإذا احتجج إليه فلا يسعه كتمان، فإن كتمه عن أهله فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وقال أيضا: العلم علمان: علم بالقلب وعلم باللسان، فعلم اللسان حجة على أهله.

وقال أيضا: المؤمن العامل بعلمه لا يستفيد بابا من العلم إلا زاده الله نورا في قلبه، وخشية في نفسه وتواضعا لله، ومحقرة وانقيادا منها، ومن لم يعمل لله زادا بعدا عن الله واستكبارا في نفسه وعمى في بصره وكسلا في بدنه، واستطالة على غيره، وقسوة في قلبه، أعوذ بالله من جميع ما لا يرضيه.

نية طلب العلم

وقال الشيخ رحمه الله: العلم لا يطلب إلا لوجه الله ليعمل به ولتوازيه، وما يقضي به فرائضه، ونفي الجهل عن نفسه، وطلب النجاة من عذاب الله، والفوز برحمته، ولا يطلبه ليعلمه لغيره وإن كان لوجه الله، ولكن إن علمه بعد أن طلبه فعلمه محتاج إليه طلبا لما عند الله ففي ذلك الأجر العظيم.

وقال أيضا: لا بد للعالم أن يسأل عن علمه في ثلاثة مواطن: لله طلبه أم لغيره؟ وإن لغير الله سقط، وإن كان الله سئل عما تعلم أحق أم باطل؟ فإن كان باطلا سقط، وإن كان حقا سئل أعمل به أم لم يعمل به؟ فإن لم يعمل به سقط، وإن عمل بعلمه فهو حق، ومن طلبه لوجه الله سعد بعلمه وقار به.

وقال أيضا: اتقوا الله في علمكم ولا تكونوا جبابرة العلم، ولا تتعلموه إلا لوجه الله والعمل به طلبا للنجاة، واحذروا أن تطلبوه لتستأكلوا به الأغنياء وتستخدموا به الفقراء.

آفات العلم

الأكل بالدين:

وقال أيضا: للدنيا طرق تطلب منها وشر طريق تطلب منه طلبها بالدين.

وقال أيضا: إياكم والأكل بالدين، وذكر حديث في رجل في زمن بني إسرائيل كان يتعلم عند موسى بن عمران عليه السلام حتى صار عالما فرجع إلى قومه ليفتي فيهم ويروي عن نبي الله موسى عليه السلام ويقول في فتياه: هذا ما يقول أخي موسى ولم يزد على ما قاله ولم ينقص منه، فقام في قومه زمانا على حاله، ثم مسخه الله أرنباً، فحار قومه في أمر رجل عالم حل به ما يرون حتى بلغ أمر ما أحل الله به إلى موسى فقال لهم أكان هذا؟ فقالوا له: قد كان يا نبي الله؛ فطلبه فأتوا به إليه فوجده على حالته التي ذكروها له، فأمسكه في حجره فقال: هذا أخي؛ فهم أن يسأل الله تعالى فيه أن يرده على حالته التي كان عليها، فأوحى الله إليه فقال: يا موسى لو سألتني أهل الدنيا كلهم ما أحببت مسألتهم فيه، لأنه رجل يأكل بدينه؛ نعوذ بالله من هذه الحالة.

علماء السوء:

وقال أيضا: العالم الفاجر معدن الشر، فساد قُلُوبُ ما ينجبر.
وقال أيضا: إنما جاء فساد الدين من قبل ثلاثة: رجل عالم فاجر، وعابد جاهل، وطالب الدنيا بالدين.
وقيل عن عيسى بن مريم عليه السلام: لا تكتموا العلم عن أهله فتظلموهم، ولا تضعوه في غير أهله فتظلموه.

وقال أيضا: يا علماء السوء لا تكونوا كالسراج يحرق نفسه ويضيء على الناس.
وقيل: في النار مطاحن لا تطحن إلا عظام علماء السوء.
وقال أيضا: احذروا القول بغير علم، ومن قال بغير علم أخطأ وإن أصاب عند الناس.
وقيل: القول بغير علم مذموم في كتاب الله وفي سنة نبيه عليه السلام.

وقال ﷺ: **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** [الأعراف: 33]

وقال أيضا: إن من قال بغير علم مذموم عند الله وعند الملائكة وعند الناس، وليس لقائل أن يقول حتى يعلم أن الحق كما يقول.

خطر الفتوى:

ومن سئل عن مسألة فليمسك عن الجواب ويدير ويفكر في أمرها حتى يعلم الحق والصواب فيه مخافة الخطأ فيها أن يقع فيه.
وقيل عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أجراكم على الفتوى أجراكم على النار.
وقيل عن غيره: لا ينجو من العلماء إلا مثل ما لا ينطفئ من المصابيح في ليلة شديدة الريح.

وقيل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسألة سئل عنها فقال: أن يهتم بها صاحبها خير من أهتم بها.

وقال علي بن أبي طالب في مسألة سئل عنها: الله أعلم؛ فلم يجب فيها، فقال: ما أبردها على الكبد فكررها مرارا، فقليل له لم؟ فقال: أن يقول الرجل فيما لا يعلم الله أعلم.

وقيل عن ابن عمر سئل عن مسألة فالح القوم عليه في سؤالهم فخرج عليهم مغضبا فقال: إنما أراد هؤلاء أن يجعلونا قنطرة لهم إلى جهنم.

وقيل عن من مضى بمسكون عن كثير من الجواب فيما يعلمون مخافة أن يقعوا فيما لا يعلمون يدفعون الجواب فيرد كل واحد منهم إلى غيره، وما ذلك كله إلا من طلب السلامة لأنفسهم من الخطأ والزلل، حتى يود أحدهم أن لو كانت الدنيا كلها علماء حتى لا يحتاج إليه طلبا للسلامة.

وقيل: سيكون في آخر الزمان أقوام يود أحدهم أن لو لم يكن في الدنيا عالم غيره ولا يسأل إلا هو، وذلك طلبا للدنيا وحرصا عليها وقلة الخوف منه على نفسه وطلب النجاة لها.

وقيل عن بعض من مضى من العلماء إنهم وقفوا على كثير من المسائل ولم يجيبوا فيها شيئا مخافة على أنفسهم وقالوا: اكتبوا سؤالكم حتى يأتي أهل آخر الزمان فيفتوها.

وقيل عن رجل ممن ينسب إليه العلم قال تلاميذه: لو كنا نكتب ما أجاب لنا وما لم يجب لكان ما لم يجب أكثر مما أجاب لنا، فهذا في زمان العلم والخير فكيف في زماننا هذا الذي قلت فيه العلماء وذهب أهل الخير إلا من شاء الله.

وقال أيضا: مر زمان على جبل نفوسة فشئ فيهم العلم وكثرت العلماء حتى لم يكن منزل يرد مسألته إلى آخر إلا من طريق الأدب، وقيل: إذا نزلت مسألة بالالوت صارت في منازلهم إلى تغرمين فبردها بعضهم إلى بعض حتى تبلغ منازلهم كلها ثم ترجع إلى منزل الذي نزلت فيه فيجيبها وهذا من كثرة أدبهم وحسن سيرتهم، وأهل زماننا على غير هذا إلا ما شاء الله، وما أظن ذلك كله إلا من حرصهم على الدنيا وحبهم لها عصمنا الله من حب الدنيا وحب النساء.

وذكر أيضا عن الشيخ أبي يحيى بن أبي زكرياء سئل عن مسألة يوما في جربة فقال لسائله: إني سمعت بأبي محمد قد دخل جربة. وقال أيضا رحمه الله: من كانت شيعته ورغبته في كل ما يسأل عنه ولا يقف في مسألته، سلك واديا لا ينجو منه.

وجلسنا عنده ذات يوم فرغب قوم من جربة في السؤال وتحرصوا في الجواب، وكثر سؤالهم في عصبه مما كان يمكن عن الجواب فيه، فكلما

سألوه قال: الله أعلم؛ حتى قال من قال: أسأل عن غيره هذه المسائل، فقال من خلفهم بل يسألوا عما بدا لهم، إنما يضر هذا ويشق عليه من كان يحب أن لا يقف في شيء، وأن يكون مجيباً في كل ما يسأل عنه، فسأله رجل أيضاً عن مسائل أراد جوابها فكلما سأل عن مسألة قال له الشيخ: الله أعلم؛ حتى أحس في كلامه ضيقاً وتفكيراً في قلبه فقال الشيخ: إن المسألة ليس عندي فيها شيء يا رجل اتق الله واعلم أني لست في راحة، وأن هاتين الآيتين كالخناجر في العين، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ يُلْعَنُ لَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 159] وقوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 33].

وقيل عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن مانوج: من العلماء من يقول: إذا أحس الرجل نقصاناً في عقله يكبر أو مرض فلا يفتي في العلم، وقد أخذت أنا بذلك القول.

وقيل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يأتي على الناس زمان يتغاير فيه العلماء كتغاير الضرائر وذلك كله من حب الدنيا.
وقيل: إنما يؤخذ العلم من أفواه الرجال.

وقيل: من يدرس الكتب لم يعدم ما يقول ولا تكون فيه البركة.
وقيل أيضاً: من يضع العلم في غير أهله يفيتي به لمن لا يستحقه كان كمن يعلق اللؤلؤ للخنازير.

وقال أيضاً يوماً لتلاميذه: ما أرى منكم من ينظر في هذه المسائل -يعني مسائل التوحيد- إلا كطبيب أعمى في ليلة مظلمة يداوي في كيد مريض بسكين حادة، فكيف من ينجو إذا إلا من عصمه الله، والنظر في هذا أمر شديد وتركه لا يصاب نسال الله النجاة لنا ولكم.

وكنا عنده ذات يوم فراه رجل يسأله عن أخبار أهل الدعوة وأحوالهم حتى ذكر عن بعضهم بعض مسائل غير مستقيمة كانت من جهالة وضعف، فقال: انظروا في هذا الباب واجتهدوا فيه، وأحسنوا نظركم فيه، لئلا تعبدوا غير الله وأنتم لا تشعرون.

في فضيلة الأدب

وقال أيضاً: من تعلم علماً ولم يكن له أدب كرجل له زيت وليس له وعاء.

وقال الشيخ أبو يحيى رحمه الله: ما أرى من يعلم هؤلاء الطلبة أدبا إلا أفضل ممن يعلمهم الحلال والحرام لأن حاجتهم إلى الأدب أعظم وأشد، لأن الناس تركوه وجهلوا طريقته، نعوذ بالله من علم لا ينفع.

وقد قيل: يأتي على الناس زمان يجتمعون في المساجد ويجذون فيها باجتهاد وعزم ولم تطلع الشمس ولم تغرب على أشر منهم.

وقيل: إذا رأيتم العالم حريصا على الدنيا فاتهموه على دينكم، فينبغي للعالم أن يكون أزهّد الناس في الدنيا، وأرغبهم في الآخرة، وأحرصهم على فعل الخير، وأبعدهم عن الشر والسوء.

وقيل: استعينوا على حفظ العلم بترك المعاصي، وقيل: ما الذي يزيل العلم من صدورهم بعد إذ حفظوه ووعوه؟ قال: كثرة الطمع والحوائح إلى الناس.

وعلى العالم أن يتخلق بأخلاق أهل زمانه ويتأدّب بأحسن الآداب.

وقال أيضا: أخلاق السوء ضد الإسلام، ومنافرة له ومفسدة للدين.

وقال أيضا: يطمع في قاطع الطريق أن يتوب ويتزعم عن السوء ويكون صالحا، ولا يطمع فيمن يدنس الإسلام ويغيره، وهذا قلّ ما ينحبر.

وقال أيضا: ظلم الناس الإسلام بثلاثة: تركوه من غير عيب، وجعلوا له عيوباً ولم تكن فيه، وادعوه ولم يكن فيهم.

وقال أيضا: من يطمع في الإسلام أن يدركه ومعه أخلاق السوء، كمن يطمع أن يحمل الماء في الشبكة، وكمن يطمع أن يأخذ شاة شاردة وليس معه السلايق يدورون بها، أو كمن ينظر بأحد عينيه إلى السماء وبالأخرى إلى الأرض في حالة واحدة، وكمن يمد يده إلى السماء أن يبلغها وهو في الأرض.

وقيل له: أحيروا عن هذه الأخلاق الدنية أمن الذنوب هي؟ قال: هي أشر من الذنوب.

وقيل: يخرج الإسلام من رجل وهو يصلي ويصوم ويفعل ما كان يفعل قبل ذلك من خصائل البر وهو لا يشعر، إذا كانت فيه ثلاثة: فرقة المسلمين بعد صحبتهم، وترك زيارتهم بعد ما كان يزورهم، وإذا استوت عنده حاجة أخيه المسلم مع غيره.

وقال: سمعته ذات يوم يعظ بعض من كان عنده مبتدئا في طلب العلم: احذروا على أنفسكم وخذوا عليها واطلبوا به النجاة إلى ربكم، واحذروا دباغ سوء أن يسبق إليكم.

وقال أيضا: احذروا الحرث بلا زريعة، قيل له: فسر لنا هاتين الكلمتين قال: نعم، مبتدئ راجع إلى الإسلام إن سبق إليه في بدء رجوعه حسن حال وأخلاق حسنة فهو على ما سبق إليه، وإنما المرء على ما ينشأ عنه

إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وأما الحرث بلا زريعة فالأعمال بلا نية، فليس لمن يحرث بلا زريعة إلا عناء ونصب لا يحصد قمحا ولا شعيرا ولا ما ينتفع به، فمن حرث خيرا حصده ومن زرع شرا حصده، ولا يحصد زارع إلا ما زرع إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ومن لم يحرث فلا يحصد شيئا، ومن حرث ولم يزرع فلا يحصد شيئا، وكذلك العامل وعمله إن لم تكن له نية في عمله فلا أجر له، ومن لم يعمل شيئا فإنه لا يجازى أحد بغير عمل، ومن عمل خيرا أجزى به، ومن عمل شرا أجزى به، لكل امرئ ما نوى ولكل عامل ما عمل.

حياة القلوب

وقال أيضا: سمع رجلا يبكي فبلغ في بكائه فقال له ما يبكيك؟ فقال الرجل: كان لي قلب فقدته، وقال على إثر كلامه: لا يبكي الباكي على مثل هذا إلا وفي قلبه حياة.

وقال أيضا: لا يتلي الله العبد بشيء أضر عليه من قسوة قلبه، ولا يعطيه خيرا هو أعظم من حياة قلبه.

وقال أيضا: من أحى ليله أحى الله قلبه، ومن أमत ليله مات قلبه، فقليل له بأي شيء تحى به القلوب؟ فقال: بكثرة الذكر والاجتهاد في العبادة،

والإبتغال في الدعاء، والتضرع إلى الله أثناء الليل وأطراف النهار، ومد اليد بما أمكن بالتفقه لله محتسبا، ومن ذلك قراءة القرآن عند نشاطه، ورد النظر في وعده ووعدته، ولزوم الصمت، والصلوات والناس نيام، واجتناب الخوض وترك ما لا يعني، والزهادة في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وذكر الموت، وقصر الأمل، وذكر القبر ووحشته وظلمته وما بعده هول بعد هول، فمن رزقه الله هذا وألهمه إياه لا يعدم حياة قلبه، ولا نشاطا في نفسه، ومن عدم هذا وخلا منه عدم الخير كله.

وذكر عن أبي محمد عبد الله قال: مداينة الكتب وأحاديث الأولين تورث الرأفة في القلب والنور والاجتهاد في العبادة.

وقيل: ينبغي للمسلم أن تكون له ساعة يخلو فيها بربه ويكثر فيها الدعاء والمناجاة له، والاجتهاد في الدعاء له والاستغفار من ذنوبه والمحاسبة لنفسه في جميع أموره.

وقالت عائشة رضي الله عنها: أفضل الذكر الذكر الخفي الذي لا تحفظه الملائكة، وقال: يضاعف عن غيره بسبعين ضعفا.

وقال أيضا: لا تدرك النجاة لأهل زماننا إلا باجتهاد مثل أو أعظم من اجتهاد الأولين، لأنهم في زمان شديد غليظ ونوازل أشد وأعظم، وقَلَّتْ فيه أسباب النجاة، وكثرت فيه أسباب المهلكة، زمان أدبر فيه الخير وأقبل



فيه الشر، واندرس فيه العلم، وقلَّ فيه الورع، وذهب فيه الخوف من قلوب الناس، وقست القلوب وجمدت العيون، وما جمدت العيون إلا وقست القلوب، وما قست القلوب إلا وكثرت الذنوب فيه.

آفات الأعمال وذهاب الإسلام

وقال أيضا: إذا أراد الله بعدد أن يأتيه يوم القيامة فقيرا من الحسنات، ابتلاه بكثرة النجوم.

وقال أيضا: قلب اختلقته الذنوب كجلد احترق بالنار لا يعالج ولا يصلح.

وقال أيضا: من خرج منه الإسلام فلا يرجع إليه أبدا.

وقال أيضا: يذهب الإسلام من الناس وتبقى فيهم أخلاقه، ثم تتبعه أخلاقه، ولا يكثر بطؤها بعده، ثم لا يكون الإسلام وتعدم أخلاقه.

وقال أيضا: ذهاب الإسلام ليس كرحيل الظعينة فيراها الناس حتى تتوارى عنهم، ولكن ذهابه ذهاب سيرة وآدابه وخلله خلعة بعد خلعة سيرة بعد سيرة حتى يخرج منهم وهم لا يشعرون.

وقال أيضا: ذهب الإسلام فلم يبق منه إلا مقدار ما يبقى من الحياة في الشاة المذبوحة بعد ذبحها، فتتحرك حركة فتقطع منها.

وقال أيضا: إذا دخلنا الصحيفة فنحن في السطر الأخير.



وقال أيضا: أهل الزمان الماضي إذا تداعوا إلى الخير قاموا وأحيوا الدين، وأهل زماننا إذا تداعوا واجتمعوا على أن يحياه أماتهم.

وقال الشيخ رحمه الله أيضا: ما أرى أكثر أهل هذا الزمان واجتماعهم وتعاونهم إلا على إمامة الدين.

وقال أيضا: من مات الدين على يده انتقم الله منه ما عدم من الدين من بدئ الدنيا إلى انقضائها، واشتركت أوزاره مع قتلة الأنبياء والعلماء والعباد والصالحين.

وقال أيضا: العلماء كالخيل، إذا لم تكن فيهم خشية تردهم فأى شيء يرد؟ فهذا في العلماء فكيف غيرهم.

وقال أيضا: إنما ينبغي للمؤمن أن يوجد في ثلاثة مواطن: إما في المسجد يذكر الله فيه يعمل خيرا أو يتعلم أو يعلمه أو يأمر بالخير أو يعلمه، أو في ضيعته ساعيا لمعيشته، أو في قعر بيته هاربا مما لا يعنيه مشغلا بما يعنيه.

وقال أيضا: ما أرى حياة من أحياه الله في هذا الزمان لشيء يصلح له.

وقيل عن الشيخ أنه قال: لا يؤخر الله إلى آخر الزمان إلا أشرف الناس.

وقيل عن جابر بن زيد رحمه الله: لو أراد الله بنا خيرا لجعلنا في زمان الخير، يعني زمان الوحي، وقد أدرك من أدرك الوحي، وأخذ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم العلم والفقه والسنن والآداب، فكيف هو بمن في زماننا هذا.



وقال أيضا: إذا دخلت خمسمائة سنة فمن له أجنحة فليطير، ومن له الأظفار فليحفر، من يريّ الجرو خير ممن يريّ الصبي.
وأياضا عن الشيخ قال: ثلاثمائة الإسلام عاد في الناس، وأربعمائة نفاقا، وخمسمائة شرك.

وقال أيضا: لا تقوم الساعة حتى يكون الناس على دين أبي جهل.

وقال أيضا: من يخلط الخير والشر كمن يطحن للرّيح، ومن كانت الفضائل عنده أفضل من ترك الذنوب فاعلم أنه مخدوع.

وقال أيضا: ذنوب يعملها العبد بعد رجوعه إلى الإسلام كثوب كان تغييره من الماء فلا شيء يطهره وينقيه، وإما تغيير من وسخ أصابه من غير ماء ينقيه الماء ويطهره، وكذلك الذنوب التي عملها على جهالة قبل رجوعه إلى الإسلام إذا تاب منها فرجع إلى الإسلام وداوى نفسه وأصلحها، يفارقها ويذهب عنه فيكون خالصا إن شاء الله، وأما التي فعلها من بعد رجوعه إلى الإسلام وبصره وكونه مع أهل الإسلام قلّ ما ينجو وقلّ ما يفارقها إلا إن شاء الله.



التوبة النصوص

وقال أيضا: التوبة دواء الذنوب إذا أصابها بنية صافية فارقتها وفارقها.

وقال أيضا: سرعة اللسان بالاستغفار والتماذي على الذنوب توبة الكذابين.

وقال أيضا: من يتوب ثم يرجع إلى ما تاب منه كالمستهزئ بريه.

وقال أيضا: لو علم الإنسان ما يستغفر منه لجف لسانه في الحنك.

وقيل عنه أيضا: سار عنه رجل تائب ممن كان عنده فشيعة حتى توارى عن الناس، فجعل يوصيه ويذكره ويحذره فقال: اعلم يا أخي إنما ينبغي لرجل إذا رجع إلى أهله من الجماعة أن يكون حافظا لنفسه ولسنن المسلمين وسيرهم، ويكون مصلاة معلوما، ومستحمة ومغتسله معلوما، حافظا لختماته في أوقاتها هاربا من أهل الدنيا وبالحسنة ومحادثهم والخوض معهم.

واحذر أن تكون كرجل يدعي الإسلام وهو معهم في أمورهم وحوائجهم وخوضهم، إذا كان معهم في جماعتهم يخوضون فيما لا يعني وما يقلّ فيه النفع، حتى إذا حضرت الصلاة ومزّ أول وقتها فتنحى إلى موضع قريب منهم فضرب بيده إلى الأرض فتيمم لصلاته فنقرها ثم رجع إليهم مسرعا راغبا في حديثهم وخوضهم.



وقال الشيخ أبو محمد ويسلان رحمته الله: إذا سرنا من بلادنا عن سليمان بن ماطوس قلنا له: أوصنا؛ قال: إياكم وأهل الدنيا فاحذروهم، وإياكم وكثرة الكلام فيما لا يعني.

وقيل: من قام من مجلس أهل الدنيا وهم يخوضون فيه فقام عنهم محتسبا وهاربا من خوضهم وحديثهم، ووضع جنبه راقدا فلا يقوم من منامه إلا وقد غفر الله له ذنوبه كيوم ولدته أمه.

الهروب عن شرار الناس والعزلة عنهم

وقال أيضا: اتقوا الناس واحذروهم فإنهم ما ركبوا ظهر بعير إلا أدبروه، ولا جوادا إلا عثروه، ولا قلب مسلم إلا أفسدوه. وقال غيره عمن مضى من الصالحين: يأتي زمان لا يصلح للمؤمنين دينهم إلا إن هربوا به في الشواهي كالشعالب.

وقال أيضا: للمؤمن في آخر الزمان كائن ليون لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب. فقليل عن رجل من الصحابة رأى رجلا ومعه طير غريب فقلت معرفة الناس به، فسأله فقال له: من أين صدت هذا الطير؟ فقال: من جبل كذا وكذا وهذا الجبل بعيد عن الناس، فقال له: يا ليتني كنت حيث صدت هذا الطير هاربا بنفسي من الناس، هذا في زمان الصحابة وأهل الخير فكيف



بزماننا هذا الذي فسد فيه الناس، ومالوا فيه إلى الدنيا، وتركوا إليها ونسوا الآخرة وتركوها وأعمالها إلا من شاء الله. وقال أيضا: من أراد أن يكون حكيما فلا يجالس عشيرته.

الصاحب الصالح

وقال يوما لرجل يوصيه: اتخذ لنفسك مرآة تنظر فيها وجهك لئلا يدنس عليك وأنت لا تشعر، وهو الصاحب الأخ الحبيب الودود الشفوق، فقال له: من الذي ينبغي لنا أن نتخذه خليلا؟ قال: الذي يكفيك مؤونة نفسه، ويعينك على نفسك، والذي يعظك برؤيته قبل أن يعظك بكلامه، والذي يرى لك مثل ما يرى لنفسه، والراغب في قربك، الشحيح على فراقك، الوافر عقله، المهارب بدينه، الشفيق على لحمه ودمه، الناظر لنفسه، وهذا قل ما يوجد مثله وهو أعز من الكبريت الأحمر.

وقال أيضا: لا خير ولا نجاة إلا مع أهل الخير، ولا يقلح من لا يرى مقلحا. وقيل: الصاحب الصالح يقرب صاحبه إلى الجنة ويبعده عن النار، والصاحب السوء يقرب صاحبه إلى النار ويبعده عن الجنة. وقيل: من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم.

وقيل عن عمر رضي الله عنه: من حمده ثلاثة فلا شك في صلاحه: من حمدته قرابته، وجاره، وصاحبه في السفر، وثلاثة لو حلفت عليهن لم أحث: من سترت عليه ذنوبه في الدنيا يستترها في الآخرة، وإن صاحب الرجل في الدنيا هو صاحبه في الآخرة، وإن شهادة الرجل في الدنيا هي الشهادة في الآخرة.

فتنة الدنيا وكسب الحرام

وقال أيضا: يأتي على الناس زمان لا تنال فيه المعيشة إلا بمعصية الله. وروي عن أبي مسرور رضي الله عنه أنه قال: آخر الزمان يعيشون في الحرام المجهول، ولا يؤخذون، ولا تقبل دعوتهم.

وقال أيضا: يأتي على الناس زمان يكون الناس فيه ذئابا، من كان ذئبا أكل مع الذئاب، ومن لم يكن ذئبا أكلته الذئاب، فمن تأكله الذئاب خير ممن أكل مع الذئاب.

وقيل: يأتي زمان يمسي الرجل مسلما ويصبح كافرا، أو يصبح مسلما ويمسي كافرا، زمان تنابح في الفتن يتبع بعضها بعضا كقطع من الليل المظلم فلا ينجو منها إلا من عصمه الله، زمان تطلب فيه النجاة فلا تصاب، يتحاسد فيه الناس فيتمنى الرجل فيه الموت ويكره الحياة لا لرضى

عن نفسه ولا لكثرة زاد قلده إلا لما يراه من فساد الزمان، وكثرة الأهوال، وقلة النجاة، لا ينجو فيه العالم العامل بعلمه فكيف من دونه من الناس.

محبطات العمل

وسئل عن الرياء كيف هو وأي شيء هو؟ فقال: الرياء أن يترك العمل بالناس وأما العمل بهم فهو شرك، وقيل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اتقوا الرياء فإنه الشرك الأصغر).

وسئل عن الإخلاص فقال: إذا كان الناس عنده مع الحجر والخطب سواء لا يعمل بهم ولا يترك بهم، فإذا كان هكذا صح عمله وانتفع به.

وقيل أيضا: يكون الرجل في قعر بيته قد غلقت عليه الأبواب واقفا في صلاته في خوف الليل ليس معه غيره وهو مرء بصلاته؛ قيل له: كيف ذلك؟ قال: إذا أحب في نفسه أن يظهر ذلك للناس ويطَّلَعُوا عليه.

وقال أيضا: يكون الرجل في مطلع الشمس وتكون الفتنة في مغربها وهو في بيته على سريره راقدا ولم يحضر بنفسه ولا بماله، وسيفه يقطر دما من تلك الفتنة؛ فقيل له: فكيف ذلك؟ قال: إذا مال بقلبه إلى إحدى الطائفتين.

وقال أيضا: وقعت الفتنة بين قبيلتين من قبائل نفوسة الجبل فكان فيه رجلا من يدعي الإسلام، أحدهما من قبيلة والآخر من قبيلة أخرى، فهربا بأنفسهما من الفتنة إلى الجبل، فكانا في موضع واحد فرحفت لإحدى القبيلتين إلى الأخرى، فقال أحدهما للآخر: أي شيء تحب أكرم قبيلتي أم قبيلتك؟ فقال: أن ترميهم قبيلتك أحب إلي، لأن أهل قبيلتك إن هزمهم يستبقون فيهم، وأهل قبيلتي إن هزمهم لا يستبقون، فقال الآخر لصاحبه أي شيء تحب أنت؟ قال: أحب أن تكون مثل مطحنة التراب يأكل بعضها بعضا حتى تفتي، فقال له صاحبه أنت الذي تبقى هاهنا وأما أنا فلا، فهرب بنفسه إلى بلد غير تلك البلد.

وقال أيضا: ترى الرجل يصلي ويصوم ويدعي الورع والخشوع، فإذا ذكرت قبيلته حامى عليها بقلبه، نعوذ بالله من الحمية والعصبية والرياء وحب الحمدة والثناء.

وقال أيضا: الاتقاء على العمل بعد العمل أشد من العمل.

وقال أيضا: من يزعم أنه من أهل الجنة فلا خير فيه.

وقال أيضا: لا يفلح من لا يعرف قدره، ولن يهلك امرؤ عرف قدره.

وقال أيضا: الوقعة في الناس من علامة الشقاوة.

وقال أيضا: إذا أراد الله بعبده خيرا أبصره عيوبه، وعرفه قدره، وجعل خطاياها وذنوبه بين عينيه، ومن أراد به شرا أعماه عن عيوبه، وجعل قدره وأنساه ذنوبه، ورد نظره في عيوب غيره.

وقال الشيخ: لو كان الرجل بمطلع الشمس والآخر بمفرجها يخفان بأظفارهما حتى اجتماعا فيسالان الله لم يجابا.

فتنة النساء

وكان الشيخ رحمه الله ينهانا عن محادثة النساء، ومخالطتهن والخلوة بهن.

وقيل: لا يخلو الرجل بامرأة واحدة إلا وكان الشيطان ثالثهما ونال منهما، وقال: كل منها يدعو كل إرب منه، ومن أراد السلامة لدينه ونفسه فليهرب منهن ويجتنب أمورهن.

وقال الشيخ رحمه الله: إذا رأيت الرجل يكثر مخالطة النساء ومحادثتهن فاغسل يدك منه، وآيس منه ولا يكون ذلك إلا من حسة العقل، وسوء النظر وقلة الورع، فمن أراد السلامة لنفسه ودينه فليهرب منهن.

وقيل: خير الرجال من لا يرى المرأة، وخير النساء من لا ترى الرجال.

وقيل عن رجل من أهل الخير: أدركني مضرة نظرة المرأة على سنة.

وقال أيضا: احذر من جميع ما يسرك وما يهواه قلبك، ولا تأمن غدا أن يضرك.

وقال أيضا: النظر من بدء الزنى، ولا يزني فرجك ما غضضت بصرك.

وقال أيضا: كل كلام يغير ذكر الله فهو لغو، وكل نظرة يغير فكرة فهي سهو.

وقال أيضا: كثرة الالتفات من علامة المنافق.

وقال أيضا: الضحك من غير عجب، والالتفات من غير حاجة من علامات الحماقة.

وقال أيضا: أكثر ما يؤدي العبد لسانه وعينه، فمن رزقه الله حفظ لسانه وغض بصره فقد مَنَّ عليه بعظيم من الخير.

أثر الموعظة

وقيل أيضا: من وعظ رجلا بموعظة كمن فتح له بابا إلى الجنة إن شاء دخل وإن شاء لم يدخل.

وقال أيضا: من يعظ المنافق كمن يعظ الميت.

وقال أيضا: الموعظة لا تعمل في قلب ليس فيه الحياة، ولا تدخل قلبا ميتا.

وقال أيضا: من أعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار.

قيل: ومن كان له واعظ من نفسه أو غيره فقد مَنَّ الله عليه، ومن لم يكن له واعظ من نفسه أو غيره فهو الخاسر.

وقيل أيضا: أفضل المجالس مجلس يجعله الرجل مع نفسه يعظها ويذكرها ويصبرها عيوبها ويعدد عليها ما سلف من ذنوبها.

وقيل أيضا: من لم يجعل لنفسه مجلسا لوحده لم تنفعه مجالس الدنيا كلها.

فضيلة الدعاء

وقال أيضا: من أعطي الدعاء لم يمنع الإجابة لأن الله تعالى قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (البقرة: 60).

وقال الشيخ: إذا اجتمع رجلان فدعا الله أحدهما بنية وقال الآخر: آمين يغير نية رفعت دعوتهما بنيته، وإن دعا أحدهما بلا نية وقال الآخر: آمين بنية رفعت دعوتهما بنيته.

وقال أيضا: الدعاء مخ العبادة فلا تغفلوا عنه سرا ولا جهرا، وحدك أو مع الناس، وأفضله إذا خلا العبد بربه.

وكان ينهى عن التداعي بالقبائل أي يقال: نحن بنو فلان، ونحن بنو فلان.

وقال غيره: ليس منا من يجلس في بيته فيبعد أهل بيته وقرابته فيقول: نحن بنو فلان في كذا وكذا، وليس منا من يصقل رحمه ويسويه ويدهنه ويوقفه



على باب خصمه، وليس منا من إذا ربط عمامة وسواها على جبهته وفرشها وقد كره هذا كله، لأنه يجر إلى الحمية والعصبية والكبر والاستطالة وما لا يليق بأهل الخير.

وقال: من كان لقبيلته منهم سهم إذا ذكروا بسوء تغير وجهه واغتاظ بقلبه، وإذا كانت لهم حوائج مع غيرهم في خصومة أو غير ذلك فلا يستوون عندهم مع غيرهم، فهذا قلت نجاته وخلاصه إلا أن ينحيه الله. ولا ينبغي للمسلم إلا أن يكون مع الحق في قريب كان أو بعيد حبيب كان أو بغض شريف كان أو ضعيف.

وكان يقول ﷺ: أحسنوا صحبتكم بعضكم لبعض، واجعلوا مؤاخاتكم لله وفي الله، واحذروا من اختلاف قلوبكم وسوء الظن ببعضكم لبعض.

وقال: لا شيء أقطع للمودة بين الأحبة من سوء الظن.

وقال: لا صاحب لحقود، ولا راحة لحسود، ولا حاجة للملول.

وقال: تشاوروا فيما بينكم البين، وتناصحوا وتواددوا، فإن المشورة تثبت المودة وتذهب الحقد والضغينة، وتصفي صدور بعضكم إلى بعض، قيل: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، وقيل عن النبي ﷺ: (الدين النصيحة قالها ثلاثا قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولدينه ولعامة المسلمين ولخاصتهم). فمن استنصح فليتبذل النصيحة



ولا يكتمها ويجتهد لمن استنصحه ولا يكتمه بشيء يراه صلاحا له، ولا يغشه في شيء لأن النبي ﷺ قال: (من غشنا فليس منا).

وقال الشيخ: من استنصح فله الخيار إن شاء بذل له النصيحة وإن شاء أمسك، وإن نصحه فليجتهد فيما يراه صلاحا وإن أمسك النصيحة فلا يضره.

وقال الشيخ: فقد الناس من يشاورونه في أمور دنياهم كما فقدوا من يستفتونه في أمور دينهم.

وسئل أيضا: هل يشاور الرجل من ليس بأمين أو من هو أهل الدنيا؟ قال: إذا كان يعرف كيف يأخذ النصيحة ورد النظر وميز فيما قيل له، ويعرف الحق من الباطل فليستنصح من شاء ممن يرجو عنده تحريب الأمور وتغييرها.

وقال: النصيحة لا تكتم ولا تخاصم.

وقال أيضا: المبالغة في النصيحة تورث العداوة، والنصيحة جيدة إلا أنها تحتاج إلى السياسة.

وقال أيضا: صارت النصيحة في زماننا غيمة.

وقال أيضا: لا خير في قوم لا يتناصحون ولا يحبون الناصحين.

وقال رجل: شاورت الشيخ في صحة قوم سوء وظلمة وجبايرة؟ فقال: يا ابن أخي لا أرى لك في صحبتهم خيرا، لأنه قبل عن بعض من مضى:



لا تصحب من كان فيهم ظلامة لثلاث تأتيتهم عقوبة فتعملك معهم، فتركت صحبتهم واستخرت الله تعالى فيما قال.

ثم قال أيضا: إذا كان قوم في منازلهم يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر كانوا في ستر الله وأمانه ما داموا كذلك، فمن عصى الله منهم في السر أنته العقوبة من الله لا تأخذ معه غيره، ولا يزالون على حالهم ما داموا فيهم رجل واحد يأمرهم وينهاهم، فإذا استنوا ارتفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنتهم عقوبة الله جميعا فلا يرفع عنهم ماداموا فيهم رجل واحد من أولئك أنتهم به العقوبة.

وقال غيره: إن القوم إذا أنتهم العقوبة من عند الله بذنوبهم وسوء أعمالهم فلم يجدوا التوبة ولم ينزعوا، أنتهم العقوبة أشد وأعظم من الأولى.

وقال الشيخ: تكتب الحسنات لرجل وهو راقد في فراشه ولا يشعر بها، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: إذا كان الرجل في قومه يأمرهم وينهاهم عن المنكر، ويقيم فيهم الحق وينصف منهم للمظلوم، ويعاقبهم على سوء أفعالهم بما يستحقون، إذا حدثتهم أنفسهم بما يفعلون في الأموال وقتل نفس أو قطع طريق أو غير ذلك مما لا يرضاه الله من المنكرات دبروا رأيهم فيها وقالوا: لا يتم لنا شيء من هذا مع فلان إن فعلنا شيئا من هذا أخرج منا الحق، فتركوا الذي حدثتهم أنفسهم به واهتموا به أن يفعلوه



وخلصوا من الوقوع فيهم وخلص غيرهم من ظلمهم وجورهم، فتكتب له الحسنات والأجر العظيم وهو لا يشعر، وقال: الذي تكتب له السيئات وهو الذي كان في قومه لا يأمرهم ولا ينهاهم إذا خرجوا في ظلم الناس والجور عليهم وأكل أموالهم وقتلهم، وقطع الطريق عليهم إذا حدثتهم أنفسهم بهذا واهتموا به ولعواقب أموره، قالوا أي شيء تخافوه ما دام فيكم فلان، فلا يصل إليكم ويطلبكم في، فعضوا في ظلمهم وجورهم ووقعوا في البلاء والذنوب العظام، وأوقعوا غيرهم أيضا في البلاء، لا هم سلموا من الذنوب ولا غيرهم سلم من ظلمهم، فكان هذا شريكهم في الظلم فتكتب عليه الذنوب والخطايا وهو راقد في بيته لا يشعر.

وكان يحذر من الذنوب والطلب لها والميل إليها والركون إليها.

وقال للذين كانوا معه من الطلبة: لا شيء أضر لطالب العلم والخير من انقسام المهمة، فإذا انقسمت همته لا يصح له ما طلب، ولا الذي اهتم به من غير ما طلب.

وقال: الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه بشر كثير.

وقال أيضا: الدنيا غرارة خداعة لها حبال ومصائد لا ينجو منها إلا من عصمه الله.

وقال أيضا: حبها أصل كل خطيئة، وقيل: هي ضد الآخرة لا يجتمع طالب الدنيا وطالب الآخرة، ولا يرضيهما جميعا، إن أرضى إحداها سخطت الأخرى، وقدر دخولك في إحداها خروجك من الأخرى، فاحذر الميل إليها فإنه حيث مال الحمل يقع.

وقيل: أوحى الله إلى الدنيا فقال لها: من خدمني فاعدميه، ومن خدمك فأتعبه.

وقيل: الدنيا دار من لا دار له، ولها يسعى من لا عقل له، أهل الدنيا هي أمهم وهمتهم وطلبتهم، عليها يتحابون ومن أجلها يتباغضون، وفيها يتنافسون، وعليها يسعون.

وقيل: الدنيا مثل ظلك إن طلبته تباعد عنك وإن هربت عنه اتبعك.

وقال أيضا: من كانت الدنيا همته فرق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه، ولا يأتيه منها إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة همته جمع الله عليه شمله وجعل غناه بين عينيه وأتته الدنيا وهي راغمة.

ومن طلب حلالا ليستر به على نفسه ويتقوى به على طاعة الله، ويقدم منه لمعاده ويوم فقره ليس بطالب للدنيا.

وقيل: من بات كالا من طلب الحلال بات مغفورا له.

وقيل أيضا: من ظل في نهاره يسعى في حلاله حتى أتاه الليل فأخذ مضجعه راقدًا فلا يقوم من رقادته إلا وقد غفرت ذنوبه كيوم ولدته أمه، وهذا كله إذا لم يشتغل عن أداء فرائضه، ولم يقطع ذلك بآخرته.

وقيل أيضا: طالب الحلال كالضارب بسيفه في سبيل الله، وذكر عن الشيخ أبي زكرياء لو كان يزداد على ما قاله المسلمون لقلت: كالضارب بسيفين لأنه زمان الحاجة.

وقيل أيضا: إذا وقعت مجاعة في الأرض تدرك الجنة بقبضة من طعام، وإذا كان قحط في الإسلام تدرك الجنة بكلمة من الخير.

وقيل أيضا: شر الناس كلهم الفارغ الصحيح الذي لا تجده في شغل الدنيا ولا في شغل الآخرة.

وقيل: دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه المسجد فوجد فيه شابا يتعبد فقال له عمر: ألك سعة؟ فقال: لا؛ فقال له: من حمل مؤنثك؟ فقال: المسلمون؛ فعلاه بالدرة فقال له: أتكون عيالا أو كالا على المسلمين.

وقال الشيخ: خير ما يُسر به المرء كد يمينه وعرق جبينه.

وقال: إياكم والطمع فاحذروه فإنه الصخرة الصفا الزلزل الذي لا تستقر معها الأقدام.

وقال أيضا: من أراد رفع درجته عند الله فليكثر سؤاله والطمع فيه، ومن أراد أن يعظمه الناس ويكون محبوبا عندهم فليقلل من سؤالهم، ويقطع الرجاء منهم، ويرده إلى الله تعالى.

وذكر عن نفوسة في زمامهم وعزمهم واجتهادهم أنهم قسموا درهم ثلاثة أثلاث: ثلث الدنيا لإصلاح معيشتهم وحرثهم وحصادهم، وثلثان لآخرتهم فأعطوا ثلثا للدنيا وثلثين للآخرة، شهران للحرث وشهران للحصاد، وثمانية أشهر للعزم والاجتهاد لآخرتهم، فنظروا في الثمانية الأشهر فوجدوها لا يصح عزمهم واجتهادهم إلا بالأربعة أشهر التي هي للحرث والحصاد، فأجمعوا على أنها للآخرة الأربعة والثمانية جميعا إذ لا تصح هذه إلا بهذه.

وقال الشيخ أبو محمد: كسب المسلم الحرث والحصاد وكسب الغنم، فكسب الغنم قد زال في زماننا هذا بالقحط وكثرة الغارات.

وقال الشيخ أيضا في فضل الحرث: من حرثها وبقيت في التراب ولم تنبت، فإن ثوابها أفضل من الذي نبتت وأخذت واستوت وجاءت على ما قاله الله في كتابه: ﴿كَشَلْ حَبَّةَ أَثْبَتَتْ سَبْعَ سَنَائِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 161] فجاء كل ما حرث على

هذا الحساب فحصدته ودرسه وطحنه بنفسه وطبخه فأطعمه للمسلمين، والله الموفق للصواب.

وقال أيضا: من تصدق على من يدعي الإسلام على وجه الإسلام كمن تصدق على مسلم عنده، ومن تصدق على مسلم عنده كمن تصدق على مسم عند الله، ومن تصدق على مسلم عنده قليلا كان أو كثيرا ولو مقدار ما يضع عليه ضرره أطعمه الله من ثمار الجنة وأسكنه فيها أبدا.

وقال: من تصدق على مسلم بدرهم خير ممن تصدق بألف درهم على غيره. وقال أيضا: من أنفق درهما من ماله في طلب العلم أو في العزم فيه على نفسه أو على غيره أو يعين به الطلبة في أمر الطلب كمن تصدق بألف درهم.

الرغبة في الفضائل

وذكر عن أبي خزر أنه يكر دراسة الكعب ويرغب في الفضائل التي وجد فيها، إذا رأى فيها: من عمل هنا يصيب هذا من ثواب وفضل، كان ذلك شديدا على نفسه حتى عمل هنا العمل لحرصه على الخير واجتهاده فيه.

وقال الشيخ أيضا: من سمع حديثا أو رآه في كتاب من فعل هذا فيصيب هذا عند الله ففعله رجاء وطمعا أن يصيب ما عند الله فإن ما عند الله

من مثوبة يصيبه وإن كان الحديث أو ما رآه غير صحيح سنداً ومتناً
فبصيب ذلك ضعفين، وقد وقفنا على ذلك في كثير من الكتب.

وقال الشيخ أيضاً: المؤمن في آخر الزمان المصالح لنفسه خير من سبعين
مثل أبي بكر وعمر.

وقال أيضاً: من حقر أهل زمانه لو أدرك أبا بكر وعمر لحقرهما.

وقال: يأتي على الناس زمان يتدافع فيه الناس الإسلام، فيزعم هؤلاء أنه
عند هؤلاء، ويزعم هؤلاء أنه عند هؤلاء، وهو خارج منهم كلهم نعوذ بالله
من سوايق الشقاء.

وقال النبي ﷺ: (بدأ هذا الدين غريباً فسيعود غريباً كما بدأ فطوبى
للغريباء في ذلك الزمان) قيل: وما الغريباء يا رسول الله؟ قال: (الذين
يصلحون أنفسهم عند فساد الناس) وقال: (ليس الغريب من مشى
من بلد إلى بلد، ولكن الغريب رجل صالح بين قوم سوء).

وقال: إذا فسد الناس حلت العزلة والغربة، فسد الزمان فأين المهرب، ظهر
الحرام فأين رزق يطلب.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الفهرس

الصفحة	الموضوع
03	ترجمة المؤلف
06	مقدمة
07	فضل العلم
08	آداب طالب العلم
09	آداب المجلس
09	آداب المعلم
11	نية طلب العلم
11	آفات العلم
17	في فضيلة الأدب
20	حياة القلوب
22	آفات الأعمال وذهاب الإسلام
25	التوبة النصوح

26 **المأزونات، معنى، نضارة، اللبس، العزلة عنهم**

27 **الصاحب الصالح**

28 **فتنة الدنيا وكسب الحرام**

29 **محيطات العمل**

31 **فتنة النساء**

32 **أثر الموعظة**

33 **فضيلة الدعاء**

41 **الرغبة في الفضائل**

43 **الفهرس**

مَنْشُورُ الْمَكْبَرَةِ الْمَسْجِدِ الْعَتِيقِ

طُرْدَايَةُ، الْعِزْزَانِي